ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Dalal ALI Hussien
University: Wasit University
College: College Of Arts
Email: dalal114@uowasit.edu.iq

Hawraa Jawad Aboud
University: Wasit University
College: College Of Arts
Email: hawraa111@uowasit.edu.iq

Keywords:
center margin self identity

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 7 Mar 2024
Accepted 7 Jun 2024
Available online 1 Jul 2024

The Binary of Center and Margin in the novel "Struck .. No sound was heard" by Bothayna AlEssa as an Example

A b s t r a c t

This study aims to trace the binary of center and margin in a contemporary Kuwaiti novel, "Impact That Made No Sound" by Bothayna AlEssa, which explores several binaries including center/margin and self/other, represented by the clash between Western and Arab civilizations. The protagonist of the novel is a Kuwaiti student studying in Sweden, who encounters clashes with customs, traditions, and a different cultural advancement from what exists in her country. On one hand, the novel addresses an important issue in Kuwait, which is identity, and the marginalization suffered by the "stateless" community, who are excluded by the center by depriving them of their original identity

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss16.3624

ثنائية المركز والهامش في رواية ارتطام لم يُسمع له دويّ لبثينة العيسى

م.م دلال علي حسين / جامعة واسط / كلية الآداب
م.م حوراء جواد عبود / جامعة واسط / كلية الآداب

الخلاصة:

تسعى هذا الدراسة الي تتبع ثنائية المركز والهامش في رواية كويتية معاصرة، وهي ارتطام لم يُسمع له دويّ التي تطرقت الى عدّة ثنائيات منها المركز/الهامش والذات والآخر متمثلة بصراع الحضارات الغربية والعربية ؛لأن الشخصية الرئيسة في الرواية مبتعثة كويتية الى السويد ، والتي بدورها اصطدمت بعادات وتقاليد وحضارة وتقدم ثقافي مختلف عما هو موجود في بلدها ، هذا من جانب ، أما من جانب آخر فقد تطرقت الرواية الى مسألة مهمة في الكويت وهي مشكلة الهويّة وما يعانيه فئة (البدون) من تهميش واقصاء من قبل المركز وعدم اعطائهم صفة المواطنة في بلدٍ سكنوا فيه عشرات السنين.

الكلمات المفتاحية : المركز ، الهامش ، الذات ، الهوية.

توطئة :

عملت الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على إيراد عدة مفاهيم لمصطلح الهامش ومشتقاته ؛ لأنه يرتبط بهذه الدراسات المختلفة ارتباطا وثيقا " فمنذ سبعينات القرن الماضي لاقت موضوعات الهامش ونظرا لارتباطها لمجتمعات المدينية وعلاقتها بالضواحي وكذا بالاقتصاديات الموجهة إلى طبقات اجتماعية بعينها ، من غيرها أن تغيب منها الأبعاد السياسية والنفسية والأدبية " (مجناح ا.، 2021، صفحة 1) ، وهذا يحيلنا إلى سيطرة أفكار ما بعد الحداثة والعولمة وصراع الحضارات التي عملت على نشر أفكارها المتمثلة بذوبان هوية الفرد في الهويات الأخرى ، "وتغييب الذات البشرية والسعي إلى إخفاء الكائن الإنساني وتذويبه في بنيات اقتصادية وسياسية مما أدى إلى تغييرات على المستوى الاجتماعي وظهور الهوامش الاجتماعية والمستوى الآخر على ما هو أدبي ، وبالتالي هذه التفسيرات سحبت على ما هو أدبي وثقافي " (صالح، 2015، صفحة 60) ويعد مفهوم الهامش من أكثر المفاهيم إثارة للخلاف في خطاب ما بعد الحداثة ؛ لأنه عادة ما يكوّن ثنائية ضدية وجدلية مع المركز المهيمن ، إلا أنه أول ما يشاع في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، من بعدها انتقل إلى الدراسات الثقافية ، إذ تكون " تصورات عناصر مفهوم الهامش في علاقات تحكمها ضوابط اجتماعية ونفسية وأيديولوجية تتأسس على الدونية وعقدة التفوق والإقصاء والتمييز والصدارة والتبعية (الزعفوري، 2008، صفحة 183). كما أن أي تحليل لظاهرة الهامش أو التهميش يتطلب قراءة مزدوجة ، أي يتطلب تحليلا ثنائيًا ؛ لأن طبيعة موضوع الهامش في حد ذاته ثنائي المنظور ، فلا يمكن أن نتحدث عنه بمعزل عن مسببه المركز .

تعد ظاهرة التهميش قديمة إلا أن فكرة التنظير والتفسير لهذه الظاهرة أو البحث عن مسبباتها لم تكن واردة إلا بعد أن بعثها علماء علم الاجتماع ومنظروه في العصر الحديث ، بعد اكتمال الدراسات عن المجتمعات والبحث في خصوصية كل مجتمع وأساليب التعايش فيما بينهم ، كذلك البحث في أديانهم وصلات القرابة وعلاقات الأفراد فيما بينهم ، فالمهمش يعني " الأدنى " درجة ، وقد تبنى هذا المصطلح أنطونيو جرامشي " ليشير إلى الجماعات التي تقع تحت هيمنة الطبقات الحاكمة داخل المجتمع ، وقد تشمل الطبقات المهمشة والمزارعين والعاملين وغيرهم من الجماعات التي تحرم من الوصول إلى السلطة المهيمنة " (عثمان، 2010، صفحة 319)أي إن فعل التهميش يقع على كل شخص تحت سيطرة المركز أو الاستعمار فيكون بذلك غير منتج وغير فعال بالمجتمع ومسلوب الهوية والرأي وذلك بفعل الأساليب التي يستعملها المركز ضده " فالهامش هنا يشكل علاقة ضدية وجدلية مع المركز عن طريق افتراض وجود مقابلة ثنائية ينقسم إليها العالم " (عثمان، 2010، صفحة 93)واستنادا إلى ما سبق وعلى وفق كل ما ذكر يمكن أن نلخص مفهوم الهامش بأنه يقوم على عدّ الذات الهامشية ذاتا مقصاة وملغاة من المركز ، وإن العلاقة بينها وبين

المركز هي علاقة قوامها الصراع ومن ثمّ فهي علاقة قائمة على التهميش والتغييب ، ومن هذا المنطلق يمكن القول إن هذا البحث يسلط الضوء على خطاب روائي يتبع ثنائية المركز والهامش في رواية كويتية معاصرة (ارتطام لم يُسمع له دويّ) لبثينة العيسى ؛ وذلك لأن هذه الثنائية أصبحت موضع اهتمام الدراسات النقدية الحديثة ، ولا سيما الدراسات الثقافية التي تتطرق إلى موضوعات المركز والهامش والتعددية والهوية وأدب الأقليات ، ليأتي السرد ويقارب هذه المفاهيم من طريق ربط السرد بالأيديولوجيا ، فضلا عن تعزيز الهوية ومقاومة اسقاطات الآخر، الذي يصور لنا صعود الذات الهامشية ومقاومتها للآخر .

تشتمل الرواية المستهدفة على عدة مسائل ، ولعل أبرزها ثنائية المركز والهامش ، فضلا عن ثنائية الذات والآخر متمثلة بصراع الحضارات الغربية والعربية الذي يتمثل باصطدام الشخصية الرئيسة (فرح الكويتية) والتي كانت مبتعثة من أجل مسابقة وطنية إلى السويد بالتطور الحضاري والفكري والثقافي هذا من جانب ، أما في الجانب الآخر فقد تطرقت الرواية إلى مسألة مهمة في الكويت وهي الهوية لا سيما مما يعاني منه فئة من المجتمع الكويتي ، وهم الذين لا يحملون الجنسية الكويتية أو ما يطلق عليهم (البدون) ، وما يتعرضون له من إقصاء وتهميش من قبل المركز بسبب عدم إعطائهم صفة المواطنة في بلد سكنوا فيه عشرات السنين ، فضلا عما يمارس ضدهم من إقصاء لحقوقهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، فهم وإن ولدوا في هذا البلد ؛ إلا أنهم مسلوبو الهوية محرومون من حقوقهم المدنية التي يتمتع بها أقرانهم في الوطن ، إلا أن ما يمتاز به الثاني من الأول هو تمتعه بالهوية الوطنية ، وهذا الأمر يظهر جليا في الرواية ؛ إذ تسعى الشخصية الرئيسة إلى تفنيد ذلك وإثبات عكسه من طريق بعض المواقف في الرواية ، فـ(ضاري) وهو من فئة البدون يحاول بتلك المواقف الصعود إلى المركز ودفاعه عن ذاته/ الهامش ليثبت للآخر/ المركز أنه أحق بالهوية الوطنية أسوة بالآخر المركزي ، فتظهر هذه الأفعال بصورة المقاومة تارة وبصورة الانتقام تارة آخرى ؛ " إذ حيثما تكون السلطة ثمة مقاومة " (نجم، 2016، صفحة 153) ويتم ذلك بإبعاد كل ما يلصقه به الآخرون من شبهات تؤثر في صورته النمطية ، ويظهر ذلك جليا في الخطاب الروائي فضلا عن تعزيز ذاته ومقاومة الآخر ، فيثبت ذلك عبر لغته المشحونة أيديولوجيا ، تلك اللغة غير البريئة التي تعمل في طياتها على الترويج لها ، فضلا عن الأفكار المؤدلجة التي يسعى بها إلى إثبات ذاته وهويته وإبعاده عن التهميش والإقصاء .

أولا : ثنائية المركز والهامش

تتجلى هذه الثنائية بوضوح من طريق الخطاب المحمل بهذه الثنائية ، فقد عرضت الرواية الشخصية الرئيسة (فرح الكويتية) الفتاة المبتعثة إلى السويد ذاتا هامشية في ذلك البلد الغربي ، على الرغم من تطوره

حضاريا وثقافيا وعلميا مقارنة بالكويت ، ويظهر ذلك بالتجوال في (أبسالا) المدينة السويدية المفعمة بالحضارة والحرية والحياة الصاخبة، هذا من جانب ، أما من الجانب الآخر فيظهر فيه ضاري الشخصية الثانية هامشيا بالنسبة لفرح التي تتمتع بمركزية في بلدها ؛ لأنها تحمل الجنسية الكويتية ، بينما هو لا يحملها ؛ و " يمتلك السرد قدرة هائلة على رصد التفاصيل والجزئيات مما تمكنه من عرض المشاهد وتعيينها " (صالح، 2015) ، 24) فلا يوجد نص بريء في الرواية فأغلب النصوص كانت محملة بأيديولوجيا المنشأ وثقافته مما يجعله يقف في موقع المدافع عن أي فكرة تجعله مهمشا أو مقصيا . إن أول ما يطالعنا في الرواية بهذا الشأن " العالم حولك يتحدث كل اللغات إلا لغتك وأنت بجلدك الأسمر ناشز عن اللوحة ، فاخلع نعليك ليس امتثالا إلا لطقوس المثول في الأودية المقدسة وإنما لتركض مهرولا في داخلك بأسرع ما تستطيع " ((العيسى، 2012، صفحة 9) فاللغة هنا وسيلة للتعبير عن الذات وعن المجتمع ، وهي مسؤولة أيضا عن نقل المعاني والأفكار إلى الآخر ، إذ جاءت اللغة هنا مقصية لا ذكر لها ، فالكل يتحدث بلغته إلا العربية كانت غير موجودة ، فهي لا تذكر ولا يتحدث بها أحد ، ففرح أصبحت كالناشز عن الاخرين ، إذ أشعرها هذا الفعل بالتهميش ، لأن اللغة أية لغة كانت " ذات طبيعة مزدوجة إنها وسيلة أتصال ، وحاملة ثقافة في آن واحد " (واثيونغو، 2011، صفحة 38)كانت فرح تشعر بالغربة وعدم الارتياح ، فضلا عن كونها مقصية الثقافة من قبل الآخر الذي يقلل من شأنها ويعمل على إلغائها ، فاللغة تجسد الصراعات الثقافية بين الذات والآخر كلها، ودائما ما تحمل في طياتها محتوى ايديولوجياً يمكن ملاحظته من طريق الشحنات الثقافية المتضمنة؛ لأي نص ايديولوجي يجسد الصراعات بطريقة ثقافية (ناصر، 2020، صفحة 3) ، فكانت ترى في أعينهم السخرية فهي لا تتعدى كونها " سمراء ، جائعة ، بردانة ، الفتاة التي جاءت من العالم الثالث سخرية الجوع طافية على سحنتها هل كان إحضارها إلى هنا مجاملة لطيفة منهم لتكون ممثلة سائر الأوطان التي تتحدث بالعربية والبترول والإسلام " (العيسى، 2012، صفحة ،16)، نجد في هذا النص مجموعة من التساؤلات التي تطرحها فرح الكويتية على ذاتها ، فضلا عن النظرة الدونية التي يراها بها الآخر ، كيف إنها تعاني الجوع ، فالجوع كان فعلا مقصودا من وجهة نظرها " بوفيه مزدحم بشتى الأصناف التي لا تأكلها ، لأنهم لم يحسبوا حسابك أنت العربي بلون الرمل " (العيسى، 2012، صفحة 13) فعل التهميش هنا واقع بصورة لافتة ، فإقصاء لغتها ونظرة الآخر لها وما يشعرها ذلك من التقليل والسخرية ، فضلا عن عدم احترام ثقافتها والبلد الذي أتت منه ، وعدم جلب الطعام المناسب لثقافتها ودينها ، إذ كانت المائدة زاخرة بأصناف الطعام المحرم في ديانتها ، فهي تصور مأساة ما مرت وشعرت به ؛ لأن هويتها ملغاة ، ولا يمكن انتشالها من موقعها لكي تجعلها في موقع أفضل ، والنظرة الدونية والإقصاء كان جل ما يختلج في صدرها .

يتنامى شعور فرح بالإقصاء والتهميش ليصل إلى حد التقليل من شأن بلدها وعروبتها المطحونة " اسمعي لا تبحثي عن المجد الآن ، خصوصا أنك تأتين من عالم طحنته العروبة " (العيسى، 2012، صفحة 144) يفسر هذا النص التخلف الحضاري الذي شعرت به فرح وسط السويد وكأنها آتية من بلد غائر في التخلف والعدمية ، فدائما ما تصطدم بحضارة الآخر وإنجازاته ، فكانت تشعر وكأنها تتآكل " كنت أتآكل ، أتقزم أمامك ، تدوي في رغبة بمغادرة المكان ، أرض الله ستكون واسعة ، كوني أجيء من البقعة الأقليمية الأكثر سقوطا ، بل لأنه لم يكن ثمة التقاء بيننا ، وهو ما يجعل الغربة تتكاثر مثل حشد نمل مسعور يغور في مساماتي لأجأر بكل آلامي صامتة " (العيسى، 2012، صفحة 46) تتحول فرح الكويتية من موقع المدافع عن بلدها وثقافتها في الغربة من أجل أن ترفع اسمه في مسابقة عالمية إلى شخصية تتلقى شتى أنواع التهميش والإقصاء بفضل عروبتها ولونها البدوي حتى لا تكاد تستطيع الدفاع عن ذاتها مختزلة في صورة نمطية ومقلوبة ضمن إطار التهميش "(عربي) أشعر بها لزجة مثل شتيمة ، أدفن وجهي بين كفي وأنتحب " (العيسى، 2012، صفحة 71) أصبحت العروبة في نظر فرح وكأنها نقمة تحيل على مجموعة من الإسقاطات الثقافية التي تشعر بها ، فكأنها تهمة أو شتيمة تسعى للتخلص منها ، هكذا يتمثل فعل الإقصاء على ذاتها حيث لا مكان لها مع الآخر فهي معزولة ومقصية ودائما ما تحل متأخرة عن الآخرين " أنت لا تعرف معنى أن تحلم "تحلم دائما" وتقضي حياتك في الحلم ثم تسقط بقوة بقوة يا ضاري لتجد نفسك في المؤخرة حيث المكان مخصص لك وحدك بمقاساتك أنت لأنك عربي عربي ! " (العيسى، 2012، صفحة 71) الخذلان هو جل ما يعتلج في صدرها ، فضلا عن الإقصاء والوحدة فهي لا تستطيع تحقيق ذاتها في مكان متفوق ثقافيا يشعرها بالدونية والتهميش فتظهر لنا هذه الشخصية بصراع ذاتي متواصل بينها وبين الآخر هذا من جانب ، أما من الجانب الآخر فتظهر لنا الشخصية الثانية في الرواية "ضاري" الشاب الكويتي (البدون) الذي يعيش في السويد ، وما تحمله هذه الشخصية في ذاتها وحواراتها من أنساق ثقافية راصدة بذلك قضية مهمة وشائكة في المجتمع الكويتي وهي قضية الذين لا يحملون جنسية هذا البلد (البدون) بالرغم من أنهم ولدوا وعاشوا فيه ولا يتمتعون بأي من حقوقهم المدنية فأكثر ما يطالعنا في حوارات ضاري هو نسق حضور الذات ورفض الآخر له ، فضلا عن نسق الدونية والتهميش والإقصاء والرفض التام لمواطنتهم المسلوبة ، وتعد علاقة الأنا بالآخر منطلقا لمعرفة نوع العلاقة بينهما على وفق اللون والعرق والثقافة ، فالآخر " فرد أو جماعة لا يمكن تحدديهم إلا في ضوء مرجع هو الأنا فإذا حددنا هوية الأنا كان الآخر فردا أو جماعة يحكم علاقته بالانا عامل التمايز وهو تمايز إطاره الهوية أحيانا والإجراء في أحيان اخرى " (النجار، 2008، صفحة 51)وعلى وفق هذا التحليل للعلاقة بين الأنا والآخر يمكن أن نرى الآخر داخل مجتمع أو بلد أو أمة بأكملها ، وينتج عن هذه العلاقة بين الانا والاخر تأكيد حب الذات وإقصاء الاخر انطلاقا من رؤية فوقية ترى

للذات الحق في السيطرة والتهميش بينما تجعل الآخر أقل شأنا أو ملغيا ويمكن القول إن الآخر داخل الثقافة العربية جاء ممثلا بطرق متنوعة مثل الأسود ، والبدون ، والمرأة ، والأقلية الدينية ، والعربي من جنسية أجنبية . وعلى وفق ذلك ترى النصوص الروائية التي تناولت قضية اللامواطنة أو البدون تأتي في نسق من المعاناة والشعور بالدونية والإقصاء والتهميش وتستلب منه حقوقه كاملة ، فضلا عن افتقاره لأهم حقوقه المدنية كالهوية والسفر وإجراءات الزواج والدراسة والتعيين مما يجعله مغايرا وتابعا ومرفوضا ومقصيا ، يختلف عن أقرانه حاملي الجنسية الكويتية ، فأول ما يطالعنا هنا هو أن الشخصية (ضاري) تابع للآخر بوصفه الطرف الأعلى الذي تحتاجه الذات دائما بغية استرضائه وخدمته " أن تحتاج طوال حياتك إلى جحيم اسمه الآخرون كي تحظى بحياة عمل ، علم " (العيسى، 2012، صفحة 89) ، فالآخر وما يمارسه ضد (ضاري) اللامواطن هو جحيم في نظر الذات ، فلا يمكن الحصول على عمل أو زواج أو دراسة أو أي حق مدني يتمتع به المواطن دون اللجوء للآخر لكي يمارس تهميشه ضده ، فهو دائما ما يكون مختلفا لأقل درجة عن النخبة . ويأتي الإقصاء بأشكال وصور مختلفة من ضمنها الإقصاء من التعليم ، فعندما تكون بدون جنسية كويتية " يعني أن لا تنال أي درجة فوق نطاق الثانوية العامة ، لأن الدراسة في الجامعة حكر على كويتي الجنسية " (العيسى، 2012، صفحة 89) فالتعليم الجامعي حكرا على حامل الجنسية فقط ، ولا يسمح لغيره بالالتحاق بالجامعات ، وبهذا الفعل يدفع المركز/الآخر الذات الى هوامش المجتمع ، فيقصيه تعليميا وثقافيا مما يولد لدى الذات الهامشية شعورا بالتفاوت وهناك صورا أخرى للتهميش نطالعها في الرواية " أن تجبر على التسلق بلا أيد ، أن تحرم من الزواج لأن السجلات لا تباركه لعديمي الجنسية وتمنع من الطلاق لذات السبب لنضحك على تفاهة العالم " (العيسى، 2012، صفحة 89)فلا زواج بدون وثائق رسمية للميلاد ، فنتاج هذا الزواج أولاد لا يحملون الجنسية الكويتية ، وحتى عند موتهم ممنوعون من استصدار شهادات الوفاة ، فضلا عن منعهم من ممارسة حقوقهم المدنية في الانتخاب وتشكيل الأحزاب والحركات المدنية وغيرها من الحقوق " وهذا يعني أن تعيش مجردا من أي أوراق رسمية تشير إلى وجودك مع العلم أن كل الأوراق الرسمية غبية يعني ألا تنال أي وظيفة مهما بلغت من مراتب علمية ما دام شرط نسخة من الجنسية مدرجا ضمن شروط التعيين " (العيسى، 2012، صفحة 89)هكذا هي أوضاع من لا يحملون الجنسية الكويتية يعيشون على الهامش لا يمتلكون أي حقوق كأقرانهم الكويتيين حاملي الجنسية فهم غير منتجين وغير فعالين كالآخرين ولا يدرسون ولا يعملون بالوظائف الحكومية ولا يتزوجون ولا يحصلون على أي استحقاقات تذكر . إذ يبث (ضاري) معاناته في الخطاب السردي ، ليكشف عن مركزية الآخر ونلحظ أيضا أن اختيار مكان ما في محور السرد من دون غيره يدفعنا إلى فهم المكان هذا بخلاف غيره ، بأنه عمل نسقا

ثقافيا ، وكأنه يحاول أن يقدم لنا تخييلات الشخصية لهذا المكان الذي غالبا ما يكون العالم العربي كما نرى في هذه الرواية ، فاختيار الرواية لدولة "السويد" الغربية يشعر القارئ بالتشظي وعدم الانتماء ، إن الحضن الدافئ (الوطن) الذي يفترض به أن يكون حضنا دافئا يصبح طاردا ومهمشا له هذا من جانب ، ومن جانب آخر يمكن أن نستنطق النص الروائي ونقول إن الرواية كانت تقصد من تغيير فضاء المكان من عربي إلى غربي ، ومن كويتي إلى سويدي لمشاركة عديمي الجنسية الكويتية معاناتهم لنسلم ونحن نقرأ الرواية قراءة فاحصة إلى نتيجة مفادها مشاركة الآخر المنبوذ الذي لا ينتمي لبلده بفعل قوانين المركز ولتمثل لنا معاناة فرح مقابل معاناة ضاري لتجعلنا نشعر بمعاناة الاثنين الأول في السويد بلد الغربة ، والثاني في الكويت بلد المنفى .

ثانيا : الهوية

تعد الهوية مفهوما مركزيا في الدراسات الثقافية بصورة عامة ، وفي دراسة المركز والهامش بصورة خاصة ، إذ إنها تدرس السياقات التي يتكون داخلها الأفراد والجماعات ، كما أنها تعمل على دراسة الأوصاف الثقافية للذات ، ودائما ما يكون البحث عن الهوية محاولة "لاستردادها" (حلاق، 1997، صفحة 53) ويتسم البحث فيها على إيجاد ملامح وتفاصيل تميز هذه الهوية الضائعة ، فمن طريق إيجادها يتم إبراز هوية مركزية ما وتفنيد أخرى هامشية ، فهو موضوع شائك ومتشعب يتقاطع مع العلوم الأخرى يجعل منها موضوعا بعيدا عن الحياد ، إذ إنها تتكون من " جملة من العلاقات والروابط الفعلية ينسجها تطور تاريخي محدد في الزمان والمكان " (الورفلي، 2009، صفحة 31) تتحدد هذه العلاقات والروابط لتكون لنا هوية الفرد الضائعة ، وتعيد تشكيلها مثل اللغة والدين والعرق والتاريخ والتراث للفرد فضلا عن البيئة والواقع الاجتماعي الذي تعيشه الذات وعلى وفق هذا كله تتكون الهوية والتي تنتج عن " عملية تتم بين هوية الفرد وهوية ثقافة مجتمعه " (الجوهري، 2014، صفحة 70)، إذ هي أشبه بعملية تلاقح بين هوية الفرد ومجتمعه تتخذ الإطار الذي يبدأ بالفرد وتنتهي بالمجتمع ، فضلا عن ذلك فهي " أنتماء فرد إلى عائلته ، طائفته ، الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها بنو جلدته ، كوجود سابق عن وجوده ويحفظ له مكانه ويخصه بمرتبة داخل الانتظام الاجتماعي" (الورفلي، 2009، صفحة 33)، فهي التي تحدد الفرد وتوجهاته وقيمه وميوله الذاتية ، لذا تعد الهوية صفة لازمة للفرد يتمتع بها دون غيره ، وتحفظ له ذاته وتميزه عن الآخرين ، وتجعل من ذاته ذاتا مستقلة تكون له دون غيره ، وهي " تتعلق بكون شخص ما أو جماعة ما قادرا أو قادرة على الاستمرار بأن تكون ذاتها وليس شخصا آخر أو شيئا آخر " (الغانمي، 2010، صفحة 700). فالهوية هي المسؤولة عن تنظيم الوجهات والمواقف التي تكونها الذات اتجاه نفسها وتعدد أشكال الهوية ما بين هوية

بيولوجية ، وتعني نقاء العرق لأية جماعة أو أقلية أو ذوات وعادة ما تحتفظ هذه الهوية بالصفات البيولوجية للعرق أو الجنس عن غيره ، والبحث في هذا النوع شائك أما النوع الثاني فهي الهوية الاثنية ، وهي التي تحصل عليها الذات بمجرد ولادتها في عرق معين وتتشكل هذه الهوية عبر مراحل تكون الذات ؛ أما الهوية القومية وهي النوع الثالث ، فهي تحمل كل الصفات أو السمات الثقافية التي يشترك بها الذوات الذين ينتمون إلى قومية معينة والتي تميز قومية عن أخرى ، أما النوع الاخير وهي الهوية الثقافية ، فهي النوع الجامع لكل ما سبق من الانواع ، تجمع بين الهوية السوسيولوجية والدينية والعرقية والبيولوجية ، وتعرف هذه الهوية بأنها " مجموعة خصائص لجماعة بشرية تربط بينهم أواصر عدة كالتاريخ المشترك والميزات الاجتماعية والدين واللغة " (اذرسب، 2018، صفحة 1) وعلى هذا تمثل الصفات الجمعية لجماعة دون أخرى وتميز فرد عن آخر ، وبطبيعة الحال قد نجد بعض الأقليات تتعصب لهويتها ونجدها تدافع عنها وتستميت في ذلك ، بينما نجد الضد من ذلك ، فهناك من يرى هويته سلبته حقوقه فهو لا يتساوى مع أقرانه في الحقوق كونه مختلفا لا يتشابه معهم " وقد يتعصب الفرد لجماعته أكثر حين يكون ثمة شك بحقيقة انتماءه أو ولاءه فيما إذا كان مستوفيا للصفات التي تؤهله لامتلاك تلك الهوية " (رحيم، 2016، صفحة 81) وتطالعنا في الرواية مظاهر عدة للهوية في شخصية ضاري ، إذ تظهر لنا الازدواجية في تمثيلها ، فتارة نراها تهمش أبناءها وأخرى نراها تعزز من ذاتهم ، تسكن في داخلهم ، ففي بلد الغربة تجلس فرح مع ضاري ليتذكروا هويتهم المفقودة " وكأنك تأبى أن تشير إلى هويتنا المعطوبة التي تنكرت لها بجفاء ولكنها تسكنك بوله " (العيسى، 2012، صفحة 49)يحيلنا هذا النص إلى الهوية الغائبة المجهولة ، والهوية الحاضرة المفقودة ، لتكوين هوية ثالثة جديدة طالما أن الانتماء والتشبث بالهوية الأصلية غير ممكن ومستحيل ، إذ نرى أنه يرفض هويته شكليا ولا يشير إليها لما سببته له من تهميش وتشظي وشتات بينما في الحقيقة هي تسكنه بلهفة ، فنجد أن الرفض الشكلي هو ردة فعل على الرفض الحقيقي ، فحين تسأله فرح الكويتية عن سبب كراهيته للكويت يجيب " أنا لا أحب وطنا يبالغ في إحتقاري ! وماذا فعلت الكويت لك !؟لا شيء رفضت إعطائي الجنسية فقط " (العيسى، 2012، صفحة 85)نرى أن هذا التذبذب بين المحبة والكره بين الانتماء واللاإنتماء نتيجة طبيعية ، لعدم الحصول على جنسية لا في بلده الأم ولا في بلاد الغربة بسبب رفض الآخر له ، فتساوت في نظره الكويت والسويد ، فهما يرفضان إعطاءه الجنسية التي تجعله يتساوى مع الاخر فضلا عن عدم القدرة على الاندماج والتأقلم مع الغرب / الاخر فيكون منبوذا بصورة مضاعفة من قبل بلده الأم / العربي ، والبلد الآخر / الغربي " أحد عشر عاما قضيتها في المنفى أبذل جهدي لكي أتواءم مع كل ما لا يشبهني ، فهذا أنا في النهاية لا أشبه وطني ولا منفاي ، فهل أعود إلى الكويت لكي يرى الجميع خسارتي ؟" (العيسى، 2012، صفحة 127) الضياع والتشتت وتنكر الوطن الأم له ، فضلا عن صعوبة الاندماج مع الغرب أفكار تعتلج في

فكر ضاري المقصي والمنبوذ، وكأن الكويت كلها ضده " ترمي ثقلك كله على الوطن وكأن الوطن يستقصد إيلامك كف عن تصوير الأمر بهذا الشكل " (العيسى، 2012، صفحة 130)إن ضاري يرمي جميع الآمه وما يكمن في صدره من مخاوف ورفض إلى الوطن / الكويت التي هي المسبب لما يعانيه ، فنجد إن هذه التهمة تتطور ليجعلها السبب في عدم تكيفه مع الآخر وإحساسه بالنقص والتهميش وكيف أن الهجرة أصبحت واجبة على البدون من أقرانه لما يعانوه من تهميش ، فضلا عن معاناته في المنفى ، مما أدى إلى ازدواجية نظرته عن المهجر " أنا لا أريد شيئا من أحد لن أبيع بداوتي من أجل هوية أقسم إنها تستوطن دمائي ولكن لا أحد " (العيسى، 2012، صفحة 100)يقول هذا كله بعد أن ذكر ما فعله به الوطن من سجن وإقصاء وتجهيل وعدم مساواة ، فلا شيء يمكن أن يعوض ما تعرض له في الكويت رغم كل هذا هي حاضرة بقلبه وعقله مما يؤكد لنا الانتماء والمنفى الذي يعيشه ضاري . فنرى أن السبب الرئيس لمرافقة فرح الكويتية في رحلتها للسويد هو توقه إلى رؤية الوطن / الكويت بعينها " لأنك لا تملك بطاقة تعريف اخرى لا شيء سوى تلكم الأعين المشبعة بالحنين ، رغما عن البلادة تصطنعها إذ تدس يديك في جيوبك لكي تواري فيها حاسة الانتعاش " (العيسى، 2012، صفحة 24) فمن أول لقاء بين فرح وضاري يظهر لنا حنينه واشتياقه لبلده الأم الذي هاجره عنوة، وكانت فرح هي البوابة التي يرى من خلالها الكويت فكانت مشاعره متذبذبة بين حنين وانتقام وإنتماء وغربة " من زمن وأنا أشعر إن الكويت ستزورني يوما ، ولكنني لم أتصور أن يكون لحضورها هذا التأثير بعد كل هذه الأعوام ليحضرها الله لي لأني كنت أكثر غرورا من أن أطلب عودتي إليها فكنت أنت " (العيسى، 2012، صفحة 94)فما بين شوق وانتماء ومنفى يرى ضاري الكويت عن طريق فرح يسألها بإلحاح عن أحوالها وتفاصيلها الباذخة ، فيسألها عن القهوة والأشجار والأماكن وكيف هي شمسها " أنت الحاملة في باطنك كل هذا العشق للوطن الذي أحبه ولا يكترث لي " (العيسى، 2012، صفحة 97)هكذا كان ضاري لا هوية له ، إذ جعل من فرح الكويتية أداة للبحث عن هويته المفقودة بين أروقة الوطن وأزقة الغربة لا شيء يجعل منه ذاتا مستقلة لا الوطن الرافض لإعطائه الهوية ولا المهجر الذي يعمل بجد لكي يتماهى ويندمج مع أفراده فيكون في موضع وسطا يعشق الوطن ، ولكن تترسخ بداخله دوافع للانتقام ، لكي يطغى حبه على ذلك فيعمل وعن طريق الحب إلى تعزيز هويته وإيراد ذاته بصورة المخلص لفرح الكويتية من غربتها تارة " صوت ينتهك صمتي ، وجه ينتأ من اللامكان .. محملا بابتسامة الجوع والمطر .." (العيسى، 2012، صفحة 19) فهو المنقذ فلغته ولهجته وهيأته كلها كانت بمثابة الوطن في الغربة لفرح ، فضلا عن بدويته وحضوره الطاغي الذي يجعله يشبه الوطن ومنتشلا للوطن من خيبته وخسارته تارة أخرى ، وذلك عندما حصلت فرح الكويتية على المركز الأخير في المسابقة ذهب ضاري ليستلم شهادة المشاركة بدلا عنها " لم تفعلها من أجلي فعلتها من أجل الكويت " (العيسى، 2012، صفحة 51)، إن الوطن الذي

رفض اعطاءه الهوية لضاري لكونه ينتمي إلى فئة البدون هو من خلص الوطن من مأزق المركز الأخير وانتشله من فضيحة كانت ستلاحق فرح الكويتية ، وبهذا يمكن القول أن السرد عمل على إعادة صياغة الهوية الضائعة والمفقودة " لأن السرد يجمع عناصر الهوية المتنافرة في وحدة منسجمة وذات حبكة مترابطة أيضا " (كاظم، 2016، صفحة 131) ، إذ يعمل هذا الترابط على تحبيك الهوية السردية بعدة طرق من اللغة والتاريخ والثقافة إذ يتم ذلك بمعية الاختلاف الثقافي ، الذي هو فحوى تمثيل الهوية داخل السرد ، التي تعد وسيلة أيضا للتعبير عن الاختلاف وبهذا يتحول ضاري (البدون) إلى ذات فعالة عن طريق مواقفه في الرواية عبر " مجموعة من المواقف التي تحدث بينها وبين الطرف الآخر في حالة تلقي لأقواله وأفعاله حين تشعر الذات بتفوق هذا الآخر " (زيناتي، 2005، صفحة 379) وهذه المواقف هي التي تعمل على تعزيز الذات وصعودها لتقابل الآخر في مركزيته وتسقط عن نفسها تلك الصورة النمطية المعروفة غالبا بهامشيتها ودونيتها ، فضلا عن إزاحة فعل التهميش والأقصاء الواقع عليها .

الخاتمة :

بعد الانتهاء من البحث نخلص الى أن النصوص الروائية كشفت عن أبعاد المركز والهامش والذات والاخر . إذ صورت الشخصية الرئيسة فرح ذاتاً هامشية في السويد مقصية ومهمشة وملغاة نتيجة للاختلاف ، فكانت عروبتها وصمة عانت منها في الغرب . أما في الجانب الثاني فتظهر لنا الشخصية الثانية ضاري ، الذي لا يحمل الجنسية الكويتية ؛ لأنه من فئة "البدون" فتصور لنا الرواية معاناته في بلده الام وبلد المنفى فالأولى كانت صورة الاقصاء هي المسيطرة أما في الثانية ، فكانت صورة عدم الاندماج والمنفى هي اهم ما يعانيه ، أما الهويّة فجاءت محاولة لتعزيز الذات مرة ومقاومة الاخر واقصائه مرة ثانية .

المصادر والمراجع :

1. أدوارد سعيد سيرة فكرية ، بيل اشكروفت وبال اهلواليا ، ترجمة : سهيل نجم ، وراقون للنشر والتوزيع ، البصرة ، الطبعة الاولى ، 2016
2. ارتطام لم يسمع له دوي ، بثينة العيسى ، مكتبة افاق للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط1 ، 2012.
3. اللغة واللهجة في السرد المضاد "الروايات العراقية اليهودية انموذجاً"الباحثة دلال علي حسين أ.م.دسعد داحس ناصر مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية. https://doi.org/10.31185/lark.Vol4.Iss39.1643

4. بول ريكور ... السرد والهوية ، حاتم الورفلي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، 2009.

5. تصفية استعمار العقل ، نغوجي واثيونغو ، ترجمة : سعدي يوسف ، دار التكوين ، دمشق ، 2011.

6. تمثل هوية التابع في الرواية العربية الجديدة ، رواية شيكاجو أنموذجا ، محمد علي .... ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، العدد السادس والعشرون ، خريف وشتاء 2018.

7. التهميش والمهمشون في المدينة العربية المعاصرة ، رؤية تحليلية من منظور بنيوي ، د.عمر الزعفوري ، مجلة عالم الفكر ، 2008.

8. جدل المفاهيم في موضوعة الهامش والمهمشين ، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة ، أ.د جمال مجناح ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ، 2021.

9. الدراسات الثقافية ما بعد الكولونيالية ، مصلح النجار وآخرون ، الاردن الاهلية ، ط1 ، 2008

10. دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسة : بيل اشكروفت وهيلين تيفين، ترجمة أحمد الروبي وأيمن حلمي وعاطف عثمان ، المركز القومي للترجمة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2010

11. الذات عينها كآخر ،بول ريكور، ترجمة : جورج زيناتي ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2005

12. المثقف الذي يدس أنفه ، سعد محمد رحيم (مقاربة في مفاهيم الأنسنة والتنوير والحداثة والهوية والوظيفة العضوية للمثقف) ، دار سطور للنشر والتوزيع ، بغداد ، ط1 ، 2016.

13. مفاتيح إصطلاحية جديدة (معجم المصطلحات الثقافية والمجتمع) طوني بنيت ولورانس ، ترجمة : سعيد الغانمي ، المنظمة العربية للترجمة بيروت ، ط1 ، 2010

14. موسوعة النظرية الثقافية (المفاهيم والمصطلحات الأساسية) أندرو إدجاروبيترسيدجويك ، ترجمة هناء الجوهري ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط2 ، 2014 .

15. نحن والآخر دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر ، محمد راتب حلاق ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1997

16. الهامش الاجتماعي في الأدب _ قراءة سوسيوثقافية ، د.هويدا صالح

17. الهوية والسرد ، د.نادر كاظم ، دار الفراشة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط2 ، 2016.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

:References

Edward Said: An Intellectual Biography, by Bill Ashcroft and Pal Ahluwalia, translated by Soheil Najm, Waraqqon Publishing and Distribution, Basra, 1st edition, 2016.

Struck.. No sound was heard, by Buthaina Al-Essa, Afak Library for Publishing and Distribution, Kuwait, 1st edition, 2012.

Paul Ricoeur...Narrative and Identity, by Hatem Al-Werfali, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, 2009.

Decolonizing the Mind, by Ngũgĩ wa Thiong'o, translated by Saadi Youssef, Dar Al-Takween, Damascus, 2011.

The Representation of the Subordinate Identity in the New Arabic Novel: The Chicago Novel as an Example, by Mohamed Ali, Arabic Language and Literature Journal Studies, Issue 26, Autumn and Winter 2018.

Marginalization and the Marginalized in the Contemporary Arab City: An Analytical View from a Structural Perspective, by Dr. Omar Al-Zaafouri, World of Thought Journal, 2008.

Conceptual Debate in the Issue of the Marginalized and Marginalization: An Analytical Reading of the Term Marginal and Adjacent Terms, by Dr. Jamal Majanah, Journal of Arabic Language and Literature Sciences, 2021.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

Post-Colonial Cultural Studies, by Musleh Al-Najjar and others, Al-Ahliyya Press, Jordan, 1st edition, 2008.

Post-Colonial Studies: Key Concepts, by Bill Ashcroft and Helen Tiffin, translated by Ahmed Al-Roubi, Ayman Helmy, and Atef Osman, National Center for Translation, Beirut, 1st edition, 2010.

The Self as Another, by Paul Ricoeur, translated by Georges Zinati, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2005.

The Intellectual Who Digs His Nose: An Approach to the Concepts of Humanity, Enlightenment, Modernity, Identity, and the Organic Function of the Intellectual, by Saad Mohammed Rahim, Strokes Publishing and Distribution, Baghdad, 1st edition, 2016.

New Terminological Keys (Dictionary of Cultural and Social Terms), by Tony Bennett and Lawrence, translated by Saeed Al-Ghanimi, Arab Organization for Translation, Beirut, 1st edition, 2010.

Encyclopedia of Cultural Theory (Basic Concepts and Terms), by Andrew Edgar and Peter Sedgwick, translated by Hanaa Al-Juhari, National Center for Translation, Cairo, 2nd edition, 2014.

Us and the Other: A Study of Some Binaries in Modern and Contemporary Arab Thought, by Mohamed Rateb Halaq, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 1997.

Social Margin in Literature: A Socio-Cultural Reading, by Dr. Huda Saleh.Identity and Narrative, by Dr. Nader Kazem, Dar Al-Farasha for Publishing and Distribution, Kuwait, 2nd edition, 2016.Opposite Narratives of Language and Dialect in Iraqi-Jewish Novels

By Researcher Dalal Ali Hussein Assist. Prof. Saad Dahis Nasir Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social SciencesReference No. 39

Dated in 01/11/2020

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية